

الطب النفسي الإيقاع الحيوي التطوري (141)

تخطيط النفسمرضية التركيبية

تمهيد للتطبيق

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD010117.pdf>

بروفيسور يحيى الرخاوي

mokattampsy2002@hotmail.com - rakhawy@rakhawy.org

نشرة "الإنسان والتطور" 2017/01/01
السنة العاشرة - العدد: 3411



مقدمة:

أنهيت نشرة أمس بأنه "لا مفر من أن نختار من بين هذه الآلاف فالملايين من الاحتمالات، والمعلومات، والأمخاخ، والثواني، والأجزاء، والفروض، ما يمكن التعامل معه بشكل مباشر ويومي، نختار عددا معقولا يمكننا التعامل معه تحديدا، وقد اقتصر اختياري - مضطرا - على ما اهتديتُ إليه من ممارستي في حدود ما تبلورت فيه النظرية الإيقاعية التطورية وأمكن ترجمته إلى الطب النفسي الإيقاع الحيوي التطوري، في واقع الممارسة اليومية.

كان انطلاقي في بداية البداية - كما ذكرت - من "نظرية العلاقة بالموضوع" وهي تقع على أبعاد موقع عن النيوروبيولوجيا!! مع أن النيوروبيولوجي هو مفتاح التطور ومحور كل هذا التنظير عندي، ومع أن الأمخاخ التي أتعامل معها ليست إلا أنظمة وعى فاعلة متفاعلة نيوروبيولوجية وجودية طول الوقت، وبرغم أن نظرية العلاقة بالموضوع هي نظرية "لا بيولوجية" حتى بالنسبة لبيولوجية الغرائز عند فرويد كما كررنا، إلا أنني اعترافا بالفضل أقر أن مدرسة العلاقة بالموضوع Object Relational كانت البداية.

رحت أتعامل مع المرضى على أربع محاور أو مستويات للوعي (أمخاخ) لا أكثر، من بين كل ما ذكرنا، وأنا أخجل وأنا اعترف بذلك، لكن لم يكن عمليا ولا ممكنا غير ذلك في حدود مهنتي وما تمليه على أمانتي نحو نفسي ومرضى، وكنت - ومازلت - حريصا طول الوقت ألا أستبعد غير ذلك في سعيي إلى التطوير وإعادة النظر والتشكيل حتى اهتديتُ إلى المرحلة الحالية انطلاقا من هذه النظرية، لكن للأمانة لا بد من الاعتراف بأن ما تم تطويره من هذه البداية من مدرسة العلاقة بالموضوع كاد يطمس معالم الأصل الذي بدأت منه، ومع ذلك ظل هذا الأصل هاديا لي طول الوقت، ولا أملك إلا الاعتراف بفضله.

تذكرة بالتطوير والتحديث:

وأوجز أهم معالم التطوير التي فصّلتها في نشرات سابقة وهي التي استوحيتها من واقع الممارسة،

أن الأمخاخ التي أتعامل معها ليست إلا أنظمة وعى فاعلة متفاعلة نيوروبيولوجية وجودية طول الوقت

برغم أن نظرية العلاقة بالموضوع هي نظرية "لا بيولوجية" حتى بالنسبة لبيولوجية الغرائز عند فرويد كما كررنا، إلا أنني اعترافا بالفضل أقر أن مدرسة العلاقة بالموضوع Object Relational كانت البداية

لأمانة لا بد من الاعتراف بأن ما تم تطويره من هذه البداية من مدرسة العلاقة بالموضوع كاد يطمس معالم الأصل الذي بدأت منه، ومع ذلك ظل هذا الأصل هاديا لي طول الوقت، ولا أملك إلا الاعتراف بفضله

أهم معالم التطوير التي فصّلتها في نشرات سابقة وهي التي استوحيتها من واقع الممارسة، خاصة مع الضمانيين وفي العلاج الجمعي

نبهت أن هذه المواقع التي بُنيتْ عليه أساسيات النمو من وجهة نظر نظرية العلاقة بالموضوع ليست تماما نتاجا لعلاقة الطفل بأمه، لكنهما تمثل تاريخ التطور كله ثم

خاصة مع الذهانيين وفي العلاج الجمعي فيما يلي:

أولاً: ينبعث أن هذه المواقع التي بُنيتْ عليه أساسيات النمو من وجهة نظر نظرية العلاقة بالموضوع

ليست تماما نتاجا لعلاقة الطفل بأمه، لكنها تمثل تاريخ التطور كله ثم التاريخ العائلي الشخصي، ثم تتنشط بعلاقة الطفل بأمه.

ثانياً: هذه المواقع التي أسمتها هذه النظرية "Positions" ليست مواقع ثابتة - كما يدل عليها اسمها - نعايشها ونتجاوزها، ثم نعود إليها وننتخب عند بعضها في حالات المرض، وإنما هي أطوار تتكرر باستمرار نبض الإيقاع الحيوي عبر تاريخ التطور ثم على مدى عمر الكائن البشري، فهي أطوار مستعادة نابضة، وليست مواقع ثابتة ولكنها منظومات في أطوار شديدة الإحكام من المشتبكات والطاقة والبرامج الحركية، والباقائية، ولكي تكون منظومة تستحق التعامل معها مستقلة ومجمعة، لابد أن يفترض فيها التناسق بما يتفق مع مواصفاتها، ومشتبكاتهما، ووظيفتها المستقلة يوماً في تاريخ التطور والنمو، ثم المتكاملة في الكل على مسار النمو، وهذه المنظومات هي ما اسميتها **مُضطراً، بالمخ "برغم الخلط المحتمل.**

ثالثاً: إن مدرسة العلاقة بالموضوع قد أسمت هذه "المواقع (1)" بأسماء شبه مرضية (الموقع الشيزيدي فالبارانوي فالأكتنابي) بما يحمل مظنة إعادها ضمناً عن طبيعتها الإيقاعية العادية، بل الإبداعية الجدلية الخلاقة، لذلك اضطررتُ إلى تسميتها أولاً: أطواراً وأطلقت عليها أسماء أخرى، انطلاقاً من ترتيبها، وذلك لإضافة الاختلافات الضرورية التي وصلنتي في التنظيم والأداء والغايات لهذه الأطوار، وقد تغيرت تسميتي لها، لكن ظل يقيني في استقبالها ومنهجى في التعامل معها حتى وصلت إلى أنها منظومات وعى نيورويولوجية كما ورد سابقاً، وكما سيأتى في هذه النشرة وبعدها حسب تطور الممارسة والنتائج.

رابعاً: إن الطور الثالث (الاكتنابي بلغة مدرسة الموضوع) يكاد يكون خاصاً بالإنسان، في طبيعة علاقاته المتفاعلة المتناوبة النامية الجدلية، وقد انتبعتُ إلى ما له من تجليات إيجابية على طريق التكامل، وأخرى عسيرة على طريق المعاناة في إرساء علاقة بالموضوع، ولعل هذا الوجه الآخر هو المبرر لتسميته بالاسم الأول "الموقع الاكتنابي" حسب مدرسة العلاقة بالموضوع.

خامساً: الإضافة التي وصلنتي مؤخراً جداً، هي أن هذه الدورة ثلاثية الأطوار إنما تمثل أساساً أطوار البسط في الإيقاع الحيوي وهو ما يقابل طور الضخ في دورة القلب، لكن هذه الأطوار مجتمعة تتناوب مع مراحل نبض النمو عامة، فانتبعتُ إلى أن ثم منظومة شديدة الأهمية ضرورية التواجد،

التاريخ العائلي الشخصي، ثم تتنشط بعلاقة الطفل بأمه

هذه المواقع التي أسمتها هذه النظرية "Positions" ليست مواقع ثابتة - كما يدل عليها اسمها - نعايشها ونتجاوزها، ثم نعود إليها وننتخب عند بعضها في حالات المرض

هي (المواقع) أطوار تتكرر باستمرار نبض الإيقاع الحيوي عبر تاريخ التطور ثم على مدى عمر الكائن البشري، فهي أطوار مستعادة نابضة، وليست مواقع ثابتة ولكنها منظومات في أطوار شديدة الإحكام من المشتبكات والطاقة والبرامج الحركية، والباقائية

إن مدرسة العلاقة بالموضوع قد أسمت هذه "المواقع (1)" بأسماء شبه مرضية (الموقع الشيزيدي فالبارانوي فالأكتنابي) بما يحمل مظنة إعادها ضمناً عن طبيعتها الإيقاعية العادية، بل الإبداعية الجدلية الخلاقة

اضطررتُ إلى تسميتها أولاً: أطواراً وأطلقت عليها أسماء أخرى، انطلاقاً من ترتيبها، وذلك لإضافة الاختلافات الضرورية التي وصلنتي في التنظيم والأداء والغايات لهذه الأطوار

تغيرت تسميتي لها، لكن ظل يقيني في استقبالها ومنهجى في التعامل معها حتى وصلت إلى أنها منظومات وعى نيورويولوجية

وهي الجديرة بأن تسمى "المخ الاجتماعي" الذي وجدت أنه يتجلى عادة فيما تجدر تسميته: "المخ الاجتماعي التكيفي" وهو ما يمكن أن يوصف بأنه المخ التواصلي على مستوى استعمال دفاعات تكيفية أدائية ناجحة، وهو أقرب إلى ما يسمى "العادية"، وعلى أحسن الفروض "الذكاء الاجتماعي أو الانفعالي".

إلا أن هذا المخ الاجتماعي نفسه له دوراته حين يقوم بوظيفته النمائية الإبداعية في دورات إيقاعية تجعل منه المخ التواصلي الجدلي النمائي الذي هو ليس مجرد الوجه الآخر للطور الثالث (الاعتكابي سابقا) وإنما هو يمكن أن يمثل المخ المحوري التواصلي الجدلي الإبداعي الذي يكاد يحتوى جدلا كل حركية الأمخاخ فيما يجعله دائما في حالة السيتكون in-the-making، وهو أقرب إلى منظومة الوعي "الواحدة المرنة المتنامية المتواصلة الممتدة إلى دوائر الوعي الممتدة من الوعي الشخصي إلى الوعي البيئشخصي فالجمعي، فالجماعي، فالطبيعي فالمطلق، فالمجري، فالغيب إليه"، وهذا التنظيم الأخير يعتبر آلية متطور أكثر منه حادثا قائما، وطريقا ممتدا أكثر منه واقعا ماثلا.

هكذا تبين:

إن ما أسمته مدرسة الموضوع اكتتابا هو في الأساس إعلان عن معاشية وعي "المأزق

العلاقاتي البشري"، وهو أحد وجهي هذا الطور

وحسب ذلك المأزق فإنه يمكن تصويره كما يلي:

حين يتجاوز الشخص آلية الانسحاب والتوجس، فلا يستطيع أن يتمادى في استعمال الآخر كـ

يختي فيه، ولا أن ينكره فيلغيه (الطور الانسحابي = الموقف الشيزيدي).

وأيا حين لا يعود يعتبر الآخر مصدر تهديد مستمر يحتاج للمواجهة والصراع المتجدد (الطور

الكرقرى أو الموقف البارنوي أو المخ انفعالي) فيتبين أن هذا الآخر (الموضوع) هو ضرورة حتمية

لا بد من الحفاظ عليها دون التهامها لتختفي، أو الاختباء فيها فيمحي، وكذلك دون صراع معها طول

الوقت، ومن ثم لا يبقى إلا حفز مسيرة النمو (التطور الإبداع) لهما معا.

حين يحدث هذا، ثم ذاك، أو هما معا:

فإن الوعي بهذا المأزق في هذا الطور بأى درجة هو المسئول عن ما لاحظته مدرسة العلاقة

بالموضوع من ثنائية الوجدان في هذا "الموقع" (بلغتها)، الأمر الذي تطور من منظور الطب النفسي

الإيقاعية إلى "تعدد الوجدانات وتكثيفها" وهو تطور شديد الأهمية والدلالة والوعود في التركيبة

الإضافة التي وصلتني مؤخرا جدا، هي أن هذه الدورة ثلاثية الأطوار إنما تمثل أساسا أطوار البسط في الإيقاع الحيوي وهو ما يقابل طور الضغ في دورة القلب

انتبهتُ إلى أن ثم منظومة شديدة الأهمية ضرورية للتواجد، وهي الجديرة بأن تسمى "المخ الاجتماعي"

"المخ الاجتماعي التكيفي" وهو ما يمكن أن يوصف بأنه المخ التواصلي على مستوى استعمال دفاعات تكيفية أدائية ناجحة، وهو أقرب إلى ما يسمى "العادية"، وعلى أحسن الفروض "الذكاء الاجتماعي أو الانفعالي"

أن هذا المخ الاجتماعي نفسه له دوراته حين يقوم بوظيفته النمائية الإبداعية في دوراته إيقاعية تجعل منه المخ التواصلي الجدلي النمائي

هو يمكن أن يمثل المخ المحوري التواصلي الجدلي الإبداعي الذي يكاد يحتوى جدلا كل حركية الأمخاخ فيما يجعله دائما في حالة السيتكون in-the-making

هو أقرب إلى منظومة الوعي "الواحدة المرنة المتنامية المتواصلة الممتدة إلى دوائر الوعي الممتدة من الوعي الشخصي إلى الوعي البيئشخصي فالجمعي، فالجماعي، فالطبيعي فالمطلق.

البشرية، إذ يترتب عليه تجليات عديدة متنوعة ومتداخلة، من بينها الاكتئاب في صورتيه الإيجابية والسلبية، جنباً إلى جنباً مع كل تجليات الوجدان المصاحبة والحافزة لاستمرار حركية الجدل الإبداعي فالنمو (التطور) (2))

وبعد

ليس بالضرورة أن نعى كل هذا التعدد ظاهراً أو نتعامل معه شمولاً، لكن مجرد الاعتراف به، والسماح له بالاقتراب يُسهل مهمتنا في التعرف على الطبيعة البشرية، ومن ثم محاولة الاسهام في تصحيح مسارها.

.....

.....

ونواصل غداً.

“ – [1] الأطوار“ باللغة الجديدة بعد التعديل.

– [2] أسبق أن جاءت بعض الفقرات في نشرات سابقة وقد تعمدت العودة إليها تمهيداً للاستفادة منها في التطبيق.

*** **

سلسلة ملفّات

" الأنسان و التطور "

برفيسور يحيى الرخاوي - استاذ الطب النفسي، مصر

" بوستر " سلسلة ملفّات " الأنسان و التطور "

<http://www.arabpsynet.com/AFP-PubBr/APF.RakhawyPubBr.pdf>

سلسلة ملفّات " الأنسان و التطور " على المتجر الإلكتروني

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=20&controller=category&id_lang=3

سلسلة ملفّات " الأنسان و التطور " على شبكة علوم النفس العربية

<http://arabpsynet.com/Rakhawy/IndexeBRak.htm>

سلسلة ملفّات " الأنسان و التطور " على الفايس بوك

<https://www.facebook.com/Al-Inssan-Wa-Attatawer-Arabpsyfound-Publications--1779362208960201/>

رابط " بروشير " - تعريفه وجيز

<http://arabpsynet.com/Rakhawy/RakBiorhythmicPsyBr1.pdf>

رابط " بروشير " - الفهم

<http://arabpsynet.com/Rakhawy/RakBiorhythmicPsyBr2.pdf>

فالمجربى، فالغيب "إليه"

ما أسمته مدرسة

الموضوع كتناباً هو في الأساس إعلان عن معايشة وعى "المأزق العلائقي البشري"، وهو أحد وجوه هذا الطور

حين لا يعود يعتبر الآخر مصدر تهديد مستمر يحتاج للمواجهة والصراع المتجدد (الطور الكرفري أو الموقف البارنوي أو المغ انفعالي) فيتبين أن هذا الآخر (الموضوع) هو ضرورة حتمية لابد من الحفاظ عليها دون التهاهما لتختفي، أو الاختباء فيها فيمضى، وكذلك دون صراع معاً طول الوقت، ومن ثم لا يبقى إلا حفز مسيرة النمو (التطور الإبداعي) لهما معاً